طليطلة

طليطلة ويسميها الافرنج توليد ومدينة باسبانيا على ضفة نهر باجة (طاغس) وعلى ٤٢ ميلاً من مدريد. بناها في ما قيل بعض اليهود الذين هاجروا الى اسبانيا في القرن السادس قبل المسيح وسموها

توليدوم اي ام الشعب . واستولى عليها الرومان سنة ١٩٣ قبل المسيح والقوط سنة ٤٦٧ للمسيح وجعلوها دار ملكهم باسبانيا ولبثت في يدهم حتى سنة ٧١٤ الميلاد الموافقة ٩٣ للهجرة حينما افتتحها طارق بن زياد مولى موسى بن نصير . ونقل المقري ان الفاتحين وجدوا فيها مئة وسبعين تاجًا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر واصناف الحجارة الثمينة والف سيف ملوكي ومن الدر والياقوت آكيالاً ومن اواني الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ومائدةً مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد لم ترَ الاعين مثلها . ثم استبدَّ بها بنو ذي النون من ملوك الطوائف الذين نشأوا بالاندلس لما انقضى امر الدولة الاموية بها وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا في البذخ والترف الى الغاية . وحكي في شرح العبدونية ان المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة بنى فيها قصرًا تأنق في بنائه وانفق فيه مالاً كثيرًا وصنع فيه بحيرة وبنى في وسطها قبةً وسيق الماء الى راس القبة على تدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة حواليها محيطًا بها متصلاً بعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من ماء سكب لا يفتر فقيل له

ابني بناء الخالدين وانما ... بناؤك فيها لو علمتَ قليلُ
لقد كان في ظل الاراكِ كفاية ... لمن كل يوم يعتريه رحيلُ

فلم يلبث بعد هذا يسيرًا حتى قضى نحبه

ونهر باجة يحيط بطليطلة من ثلاث جهات وهي على ندوة من الارض مطلة عليه وكان على النهر قنطرة عجيبة يعجز الواصفون عن وصفها فهدمها الامير محمد لما عصى عليه اهلها وفي ذلك يقول بعضهم

اضحت طليطلة معطلةً ... من اهلها في قبضة الصغرِ
تركت بلا اهل توهلها ... مهجورة الاكناف كالقبرِ
ما كان يبقي الله قنطرةً ... نصبت لحمل كتائب الكفرِ

والظاهر ان العرب بنوا قنطرة اخرى لم تزل الى يومنا هذا وهي من قوس واحدة ارتفاعها نحو مئة قدم . ورتعت طليطلة في رياض العزّ ايام استيلاء العرب على الاندلس وكان لها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة ورساتيق مربعة وضياع بديعة وقلاع منيعة وقد قال فيها بعض الشعراء

زادت طليطلة على ما حدثوا ... بلد عليه نضارة ونعيمُ
الله زينهُ فوشح خصرهُ ... نهر الجرة والغصون نجومُ

وآخر من ولي امرها من بني ذي النون القادر بالله بن المأمون وهي اوّل ما استردهُ الافرنج من مدن الاندلس العظيمة وذلك سنة ٤٧٥ للهجرة الموافقة ١٠٨٥ الميلاد وفي ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال

يا اهل اندلس حثوا مطيكم ... فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وارى ... ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدوّ لا يفارقنا ... كيف الحياة مع الحيّات في سفط

استردها الفنسو السادس القشطلي (ويسميه كتاب العرب اذفونش) بعد ان حاصرها سبع سنين ولبثت قصبة لملوك اسبانيا حتى سنة ١٥٦٠ للميلاد حينما نقل الملك فيلبس الثاني تخت الملك الى مدريد. وبُني فيها في خلال ذلك كنيسة كبيرة من الحجر كنائس اسبانيا طولها ٤٠٤ اقدام وعرضها ٢٠٤ اقدام وعلوها ٢٣٤ قدماً. وقصر فسيح كان يسكنه الملوك ويسمونه القصر وهو المرسوم في الصورة المدرجة في هذه المقالة. وكان فيها مئتا الف من السكان ولكن لما صارت مدريد دار الملك قلّ سكانها كثيراً فلم يبقَ بها الآن الاّ اربعة عشر الفاً وتداعت اكثر ابنيتها وصارت عظمتها السابقة اثراً بعد عين وقد اشتهرت ايام كان العرب فيها بسيوفها التي بارت بها السيوف الدمشقية وكان يُظَن ان الماء نهر باجة مزية في اجادتها لان اهل اشبيلية حاولوا عملها في مدينتهم فلم يتهيأ لهم ذلك. ولبثت السيوف الطليطلية مشهورة حتى ذاع استعمال البارود فلم تعد لها القيمة التي كانت لها قبل

كتب اللغة او القواميس

المراد بكتب اللغة الكتب التي تبين معاني مفردات اللغة مثل صحاح الجوهري واساس البلاغة للزمخشري وقاموس الفيروزابادي وقد اطلق عليها المتاخّرون اسم القاموس لكثرة ما شاع بينهم من نحو حتى كانهم لم يعرفوا غيرهُ وسخّريهم في هذه التسمية في ما يلي

لغات البشر كثيرة جداً تفوق الالفين وفيها من الكتب ما يُعَدُّ بمئات الالوف ولكن قواميسها قليلة لا تزيد على خمسة آلاف كثيراً ونصفها باللغات الاوربية واوسعها بالصينية واليابانية والعربية واليونانية واللاتينية والفرنسوية والانكليزية. ففي الصينية قاموس شوو وان أُلِّف قبل التاريخ المسيحي بمئة وخمسين سنة وهو في اثني عشر مجلداً. وبنغ تسولوي بين في مئة وثلاثين مجلداً. وفي وان بن فو في مئة وواحد وثلاثين مجلداً اشتغل في تأليفه ستة وستون عالماً من كادمية هان لين مدة سبع سنوات. وقد قدّر بعضهم انهُ لو ترجم هذا القاموس الى الانكليزية لملأ مئة واربعين مجلداً في كلٍّ منها الف صفحة. وقاموس كنغي تسي تين في اربعين مجلداً ألفهُ ثلاثون عالماً من مجمع هان لين وكتب مقدمتهُ الملك الاول من السلالة المالكة وهو المعوّل عليهِ الآن عند علماء الصين وفي اليابانية قاموس ميكن ذي كو في عشرة مجلدات أُلِّف عام ١٦٠٨ للميلاد. وكنغي تسي تين